مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٣) العدد (٣)
الإصدار العاشر
٢٠٢٢ (١١-٢٥)

أثر تحقيق المخطوطات اللغوية على تطور العلوم اللغوية العربية

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

د. جورج أنطون أبو الدنين
كلية اللغات، جامعة المدينة العالمية

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٨ أغسطس ٢٠٢٢م

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد أثر تحقيق المخطوطات اللغوية على تطور علوم اللغة، وبالأخص علم النحو العربي، وقد تحقق ذلك بدراسة مجموعة من الكتب المهمة في اللغة العربية، مثل الكتاب لسيبويه، وكتاب "معاني القرآن" للفراء، وكتاب "الخصائص" لابن جني، وكتاب "المفصل" للزمخشري، وكتاب "الرد على النحاة" لابن مضاء القرطبي، وكتب ابن هشام الأنصاري "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". وقد توصلت الدراسة إلى أن هذه الكتب قد وضعت الطريقة والمنهج المناسب في بناء الدرس النحوي وتقديمه إلى المتخصصين في اللغة والمهتمين بها، كما أسهمت في تأكيد التفوق العربي على الشعوب الأخرى في دراسة اللغة والاهتمام بها والتنبّه إلى نظريات لغوية كثيرة يراها كثيرون أنها حديثة في اللسانيات الجديدة، وأثرت في توجه علماء اللغة إلى ضرورة تسهيل الدرس النحوي بما يناسب المسلمين الراغبين في تعلم أسس اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: تحقيق المخطوطات، علوم اللغة، علم النحو، الدرس النحوي.

*** المقدمة**

نحاول في هذه الدراسة تركيز الضوء على أثر حركة تحقيق المخطوطات العربية القديمة على اختلاف مجالاتها اللغوية في الدرس اللغوي الحاضر، وكيف تسهم في بناء شروحات النظام اللغوي للغة العربية وإتاحة المادة الخام المطلوبة من أجل إنشاء كتب ودراسات لغوية ترتقي بمستوى اللغة العربية: قواعدها وأسسها.

ومن أجل التمكن من الوصول إلى استنتاج سليم، سنعمل على النظر في ميزة بعض المخطوطات العربية القديمة التي نعدّها عيّنة تخدم مجال اللغة، مثل كتاب سيبويه، وكتاب

"معاني القرآن" للفراء، وكتاب "الخصائص" لابن جني، وكتاب "المفصل" للزمخشري، وكتاب "الرد على النحاة" لابن مضاء القرطبي، وكتب ابن هشام الأنصاري "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب".

ويمكن للباحث أن يستنتج أثر تحقيق المخطوطات اللغوية على علم النحو في دراسة أكثر عمقاً وتوسعاً لعناوين وكتب أخرى، لكن بالنظر إلى أهمية هذه العينة من عيون الكتب وأمّاتها يمكن تعميم النتيجة واستنتاج كيف أسهم التحقيقات المختلفة لهذه الكتب المهمة في بناء درس لغوي متطور على أيدي علماء اللغة المحدثين والمتوسطين نسبياً قبلهم أمثال حسن عباس وعبده الراجحي ومصطفى الغلاييني والشيخ خالد الأزهري وعبد الله العتيق وأحمد الأبذي وغيرهم، وقد بُنيت هذه الاستنتاجات بعد دراسة فاحصة لمفاصل الكتب العريقة في اللغة – المذكورة أعلاه- وتحليل ما يمكن لها أن تقدمه من نفع.

*** أهمية الدراسة**

تتميز هذه الدراسة بتركيزها على العلاقة المتينة بين تحقيق النصوص التراثية وإنتاجها من جهة، وتطور الدرس اللغوي العربي في مؤلفات اللغويين المحدثين من جهة أخرى، ولم يجد الباحث أثناء بحثه في مختلف المصادر والمراجع أي دراسة تختص بمجال أثر تحقيق المخطوطات اللغوية على تطور علوم اللغة، وعلم النحو على الخصوص، بينما وجد الكثير من المقالات التي تناولت أهمية تحقيق التراث على اختلاف مجالاتها، وكيف يمكن لهذا التراث أن يغني التاريخ الحضاري العربي، وأن يقدم مجموعة من الفوائد العلمية والمعرفية واللغوية، من بينها مقالات للدكتور محمد التونجي، والأستاذ عبد السلام هارون، مما اطلع عليه الباحث ووثقه في متن البحث وفي قائمة المصادر والمراجع.

*** منهج الدراسة**

ولقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي إذ هو المناسب أكثر لموضوع الدراسة، من خلال دراسة القيمة اللغوية والنحوية لعيون كتب اللغة واستنتاج ما يمكن أن تحققه من نتائج على تطور علم اللغة وبالأخص علم النحو.

*** هيكلة الدراسة**

إذن، تتناول هذه الدراسة بشكل أساسي موضوع أثر تحقيق المخطوطات اللغوية على تطور علوم اللغة، ولا سيما علم النحو، وبذلك فإنها تنقسم في مباحث ثلاثة؛ الأول منها عرض نظري لمصطلحي المخطوطة والتحقيق، أما الثاني فهو تقديم لأهمية تحقيق المخطوطات في العلوم العربية الإسلامية ودوره في المجتمع والحضارة، واللغة كذلك، أما المبحث الثالث فهو دراسة استقرائية لأمّات الكتب وأثر تحقيقها على الدرس اللغوي بشكل عام والنحوي بشكل خاص.

*** عرض نظري لمصطلحات البحث**

تعد المخطوطات جزءاً مهما من تراث الأمة العربية الإسلامية، وهي وثيقة مهمة تسجل الوجود الحضاري للإنسان العربي المسلم، ومن هذا الأساس حاولت الأمم كل جهدها من أجل حفظ مخطوطاتها وصيانتها وإنتاجها في كتب محققة ومدروسة ومشروحة، وهو أمر لا بد منه لأي مساحة علمية، أن تحيي التراث المخطوط وتحلله وتدرسه بروح علمية متوازنة قائمة على المنهج العلمي، مما يعكس إيمان الأمة بنفسها، وإرادتها من أجل تثبيت وجودها بقوة بين الأمم، من

أجل بناء ثورة في المعرفة والحفاظ على الهوية المحلية للإنسان العربي والمسلم.

وبداية، علينا الباحث العربي أن يدرك ما الذي يعنيه مصطلحا "المخطوطات" و"التحقيق"، حتى لا يستغلق على أحد ما نرمي إليه في هذا البحث، أما المخطوطات فيختصر الدكتور عبد السلام هارون معناها بأسلوبه السلس فيقول: "هي تلك الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة فوصلت إلينا. وليس هناك حدود معينة لتاريخ أي تراث كان. فكل ما خلفه المؤلف بعد حياته من إنتاج يعد تراثاً فكرياً. ولقد أصبح شعر شوقي وحافظ. وحديث عيسى بن هشام، وآثار العقاد والمازني تراثا له حرمته التاريخية، وله مقداره الأثري"[1].

ويمكن تعريف التحقيق بأنه هو إخراج النص المحقق كما أراده صاحبه، أو بصورة أقرب منه، وخدمته وإضاءته .وقد أدت كثرة المشتغلين بتحقيق المخطوطات وازدياد النصوص المحققة وتعدد أماكنها، إلى وضع قواعد معينة له على أيدي علماء ثقات مبرزين من الشخصية في التحقيق، ومن مختلف أقطار الوطن العربي، وقدموا خلاصة تجار استفاد بعضهم مما كتبه المستشرقون .وقد اشتهر من المحققين الأستاذ عبد السلام هارون من مصر، والدكتور صلاح الدين المنجد من سورية، والدكتور مصطفى جواد من العراق، وقد صنّف من جاء بعدهم من المحققين كتبًا ونشروا مقالات في قواعد تحقيق النصوص ومناهجه[2].

ويتحدث الدكتور محمد التونجي عن التحقيق؛ فيقول: "الحق أن التحقيق جهد علمي مشكور، إذا قصد صاحبه خدمة العلم والإخلاص له، وقد يتطلب التحقيق وقتا أطول من التأليف، كما أن خدمة الكتاب القديم، وإلباسه اللبوس العلمي الجديد أمر لا يقل بحال عن التأليف، وما زالت أنظار العلماء تتلفت نحو المحققين، وتوليهم الاحترام والتقدير الزائدين، ولا سيما من أخلص في عمله، وأصاب في نتاجه، أما من حيث المردود فالتأليف الجيد يعادل التحقيق الجيد"[3].

ومتى كان للتراث العربيّ المخطوط هذه الأهمّيّة في حياة الأمّة العربيّة والتعبير عن هويّتها وشخصيتها وقدراتها وعظمة إنتاجها، فلا بدّ من بذل أقصى الجهود للحفاظ على هذا التراث وحمايته وصيانته وفهرسته وإتاحته للدارسين من أجل تحقيقه ونشره والإفادة منه في مواجهة تحدّيات الحاضر والمستقبل، وتحفيز الأجيال للبذل والعطاء والمنافسة في النهوض الحضاري.

*** أهمية تحقيق التراث المخطوط للأمة العربية الإسلامية وتحقيقه**

تُعد المخطوطات انعكاساً لما حملته هذه الأمة من علم وفكر ومعرفة، وهي التوثيق الصادق لما حملته الشعوب

[1] هارون، عبد السلام، إحياء التراث وما تم فيه، مجلة المجلة، العدد 114، 1 يونيو، 1966، 17

[2] الجراخ، عباس هاني، ما ألف في مناهج التحقيق قائمة وراقية تحليلية: توثيق ودراسة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 82، الجزء 2، 2008، 277

[3] التونجي، محمد، المخطوطات العربية بين يدي التحقيق، مجلة التراث العربي، عدد أكتوبر، ، 1982، 198

العربية الإسلامية في مجالات شتى؛ اللغوية والعلمية والمعرفية والفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية وغيرها، ولا يمكن لأمة أن تقيم مستقبلها من خلال حاضرها إلا إذا تواصلت مع ماضيها وتعلمت منه العبر والدروس، وأخذت عنه ما فيه من قوة البنيان النفسي، وعظمة التاريخ على اختلاف ميادينه، ولا يختلف اثنان على هذا الأمر كونه من المسلمات.

وفي هذا الخصوص، يشير الدكتور شكري الماضي إلى "أنّ التراث ذاكرة الأمّة، وهو مكوّنٌ مهمٌّ من مكوّنات الهويّة الشخصية، كما أنّ التعامل معه قد شكّل –وما يزال– جانباً من جوانب النهضة العربيّة الحديثة، وبهذا المعنى فإنّ التراث –وتحقيق التراث– حقل خصبٌ لرفد الحاضر وإغنائه، وربّما صياغته وبنائه واستشراف المستقبل"[4].

ولمعرفة مدى أهمية هذا التراث في قراءة الواقع والمستقبل والتسلح بما يلزم من المعارف والقيم والمبادئ والمهارات لبناء المستقبل، يكفي أن نعرف أنه قد خلّف السلف من العرب تراثاً مخطوطاً ضخماً يقدّر بملايين المخطوطات، وقد تفاوتت التقديرات لعدد المخطوطات العربيّة المنتشرة في أنحاء العالم وفي مختلف مجالات المعرفة، فبعضهم وصل بها إلى سبعة ملايين مخطوط وبعضهم قدّرها بمليون مخطوط. وفي بحث أجراه الدكتور فهمي جدعان بعنوان "المخطوطات العربيّة في العالم"، أجرى عملية إحصائية للمخطوطات المذكورة في نحو (1250) فهرساً من فهارس المخطوطات التي صدرت في العالم حتّى سنة 1987[5]، فبلغ عدد تلك المخطوطات نحو مليون مخطوطة، ولا بدّ من الإشارة إلى أن ثمّة مكتبات عديدة في العالم لم تفهرس مقتنياتها من المخطوطات حتّى اليوم، وهو ما يؤكد أن عدد المخطوطات العربيّة في العالم يتجاوز مليون مخطوطة، وبالعودة إلى الفهرس الذي أعده الدكتور محمد عبد الهادي فإنّ العناوين العربية التي تم تحقيقها وحفظت في دول العالم في مختلف المجالات قد بلغ عددها (1832) عنواناً[6]، ما يعني أن حركة التحقيق للمخطوطات العربية على اختلاف مجالاتها هي حركة دائبة مستعرة لا تقف، وتشير بشكل واضح إلى شعور الإنسان العربي بضرورة حفظ تراثه وتوثيقه.

ولا تقف هذه الإحصاءات عند هذه الحدود، فقد سعت الدول العربية ولا سيما العراق إلى إنتاج الكثير من المخطوطات وتحقيقها لتكون في كتب ودراسات، وقد وثق حاتم الضامن في دراسة نشرها حول إسهام العراقيين المعاصرين في تحقيقي التراث ما يقارب من ثلاثمائة مخطوطة شعرية لشعراء لم تنشر دواوينهم، إضافة إلى مئات المخطوطات في علوم اللغة والأدب وعلوم أخرى[7].

---

[4] الماضي، شكري، تحقيق التراث الرؤى والآفاق، القاهرة، دار المعرفة، 2006، 56

[5] جدعان، فهمي، المخطوطات العربية في العالم العربي، الكتاب السنوي السادس، مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، السعودية، 1987، 116

[6] عبد الهادي، محمد، التراث المخطوط – دليل ببليوجرافي بالإنتاج الفكري العربي، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2009، 7

[7] الضامن، حاتم، إسهام العراقيين المعاصرين في تحقيق التراث، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد ديسمبر، 1989، 320

ويظن الباحث أنه من الكافي للمطلعين أن يعتبروا من أن المستشرقين قد بذلوا جهوداً جبارة في دراسة مخطوطاتنا العربية القديمة على اختلاف مجالاتها، بل إن معظم هذه المخطوطات – للأسف- محفوظة في بلاد الغرب بعيداً عن أبنائها الأصليين بحجة حمايتها والأحقية في حفظها، فإن كان الغرب قد انكبّ هذا الانكباب على مخطوطاتنا، أسواء كانت اللغوية منها أم غيرها، فحريّ بنا أن نهجم على مخطوطاتنا اللغوية والأدبية والتاريخية والعلمية لنحققها وننشرها ونعتني بها أشد عناية من أجل بناء التواصل مع السلف السابق، والاستفادة مما أنجزوا وعملوا، حيث إن تحقيق التراث المخطوط يوفّر مادّة معرفية متعدّدة المجالات ومتصلة بمختلف جوانب الحياة ممّا يصلح أن يكون منطلقاً وبداية لاستئناف البناء الحضاري، على ألّا تكتفي الأمّة بما وصل إليها من تلك المعارف.

كما يكشف للدارسين تحقيق المخطوطات عن دور الأمّة في بناء الحضارة الإنسانية، فمتى كانت الأمّة تملك تراثاً ضخماً من المخطوطات في الحقول العلميّة والفكريّة المختلفة فإنّ ذلك يدلّ على مقدار إسهامها في بناء الحضارات البشرية، ومتى قلّ حجم هذا التراث المخطوط أو كان منعدماً فإنّ ذلك يدلّ على ضعف الجذور الحضارية لها، ولولا تحقيق هذا التراث المخطوط ونشره لما عُرف مقدار إسهام أيّ أمّة في الحضارات الإنسانية أو مكانة حضارتها بين تلك الحضارات، ومن المسلم به أن تحقيق المخطوطات ونشرها يسهّل ترجمتها إلى اللّغات المختلفة، وهو ما يساعد في انتشار محتوياتها والاستفادة منها عند الشعوب المختلفة، ولئن كانت حركة ترجمة العلوم والمعارف العربيّة قد بدأت في زمن مبكّر إبّان الحكم العربي للأندلس، إلّا أنّها شهدت نشاطاً أوسع بعد ظهور الطباعة، فقد ترجمت كثير من عيون التراث العربي في القرن التاسع عشر إلى اللّغات الأوروبية المختلفة نتيجة جهود المستشرقين في تحقيق هذا التراث.

ومن جهة أخرى، فإنّ تحقيق التراث المخطوط يكشف عن مسارات التبادل العلمي والفكري بين الأمم، وعن صور التأثر والتأثير فيما أنتجته العقول البشرية من مؤلّفات، فما كان للباحث العربي أن يعرف مثلاً تأثر فلاسفة العرب القدماء بالفلسفة اليونانية لولا تحقيق النصوص الفلسفية العربيّة، وما كان له أن يعرف تأثير رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي في الكوميديا الإلهية لدانتي لولا تحقيق مخطوطات أبي العلاء. وإنّ التراث المحقق للأمّة هو أهمّ شاهدٍ وراصدٍ لما شهدته الأمّة من تطوّر وتقلّبات ومنعطفات في مسيرتها التاريخية والسياسية والفكرية والأدبية والعلمية والعمرانية وسواها، ويستطيع الدارسون لهذه التطورات أن يحدّدوا اتجاه سير الأمّة في المستقبل في كلّ مجالٍ من هذه المجالات.

كما أن تحقيق التراث المخطوط يشكّل حافزاً قويّ التأثير للأجيال الجديدة من الباحثين عندما يكتشفون عظمة ما بذل الأجداد من الجهود العلميّة الضخمة رغم صعوبة التأليف والنسخ وشحّ أدوات الكتابة وعدم وجود وسائل اتصال سريعة أو تقنيات للطباعة والنشر كما هو الحال في هذه الأيّام[8].

[8] باشا، أحمد، أهمية التراث العلمي العربي، مصر، محاضرات دورة المخطوطات، د.ت، 39

*** دور المخطوطات في إفادة علوم النحو**

لا بد للباحث اللغوي من أن يدرس مجموعة من عيون كتب اللغة التي أطلت علينا بجهود محققيها بعد أن كانت مخطوطات مخفية لا ترجى منها الاستفادة لبعدها عن متناول الدارسين، وإن مثل هذه الدراسة تشمل مجموعة من المعايير المهمة، من أهمها قِدم الكتاب وسبقه لغيره في مجاله، والآراء النحوية واللغوية التي يطرحها ومنهجه في معالجة المسائل اللغوية، ما يعني أن الدرس النحوي الحديث قادر على الاستفادة منه، وربما قد انعكس في أساليب الكثير من النحويين المحدثين، ولتحقيق هذا النوع من الدراسات، علينا أن ننظر في أهمية مجموعة من أمات الكتب المذكورة سابقاً وقيمتها اللغوية، وذلك على النحو الآتي:-

أولا: الكتاب لسيبويه

نال كتاب سيبويه من الشهرة ما لم ينله كتاب آخر في النحو، وقد وصفه أصحاب المصنفات وصفاً شاملاً حتى كادوا يعطوه السبق والنهاية؛ فلا لأحد دور في إنتاج غيره، وقد مدحوا الكتاب وكاتبه، أما في الكتاب؛ فهذا المازني يقول فيه: "من أراد أن يعمل كتاباً في النحو بعد كتاب سيبويه فلسيتحي"[9].

وفي موضع آخر يورد الزبيدي رأياً للسيرافي في الكتاب فيقول فيه: "وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند النحويين، فكان يقال بالبصرة قرأ فلان الكتاب فيعلم أنه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب ولا يشك أنه كتاب سيبويه"[10].

أما في مدح الكاتب، صاحب الكتاب، فيورد الزبيدي في كتابه ما قال فيه الزجاج: "إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة"[11]، ويورد الزبيدي نفسه رأياً آخر لأبي الطيب اللغوي يشير فيه إلى أنّ الذين أخذوا علم اللغة عن الخليل لم يكن فيهم أحد بمستوى سيبويه ومثله، فهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل.

وقد نال هذا الكتاب شهرة عظيمة واهتم به المحققون فيما بعد لما فيه من شمولية، فقد استوعب القواعد كلها، مما تتخرج عليه جميع ظواهر التعبير اللغوي استيعاباً، فلم يترك لمؤلف بعده مجالاً لأن يأتي بفضل عليه، كونه أول كتاب يستوفي موضوعه، ويحوز قصب السبق في ميدانه، فصار رافداً للمؤلفات التي جاءت بعده، تنهل من معينه، وتنظر فيه كل كتب علم العربية، فكان هو الحجة البالغة للنحويين، والأدلة القاطعة على صحة القواعد.

ولمعرفة أهمية هذا الكتاب على الصعيد النحوي، يكفي أن نعرف أن له أكثر من خمسين شرحاً على ما يذكر الباحث محمود أبو كتة[12]، ومن أشهر هذه الشروحات بحسب ما وجدنا في بحث معمق، شرح الأخفش الأوسط، وشرح أبي عمر الجرمي، وشرح المازني، وشرح أبي حاتم السجستاني، وشرح المبرد، والزجاج، والأخفش الصغير، وأبي بكر

---

[9] البغدادي، إسماعيل بن باشا، هدية العارفين في أسماء الكتب والمؤلفين، وكالة المعارف الجليلة، إسطنبول، 1955، 196/12

[10] الزبيدي، محمد بن الحسن الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973، 67

[11] المرجع نفسه، 73

[12] أبو كتة، محمود، دراسات في النحو العربي – نحاة ومؤلفات، الطبعة الثانية، عمّان، 1995، 21

السراج، وابن النحاس، وتطول القائمة حتى تمر بالزمخشري وابن خروف والعكبري وابن الحاجب وأبي حيان الأندلسي.

وليتأكد الباحث من هذا الحكم، يكفي أن يذهب إلى علي ناصف حين أورد آراء المحدثين في الكتاب فقال: "فموضوع الكتاب إذن جليل، بل من أجل الموضوعات شأناً وأكبرها خطراً، وقد صنع له سيبويه في الكتاب أعظم ما يصنع عالم لموضوعه، إذ آتاه حقه من التقصي والاستيعاب، ومن الدرس والنقد، وجهد ما أسعفه الجهد الكبير والعقل المستنير لتحرير المسائل وترتيب الموضوعات، وحتى استحق كتابه في النحو والصرف أن يكون الكتاب، واستحق هو به أن يكون في النحويين الإمام"[13].

ولا يخفى على الدارسين أن هذا الاهتمام الشديد من النحويين القدماء والمحدثين، وتلك الحالة من السبق والابتكار في وضع كتاب يشمل علوم اللغة والنحو خصوصاً، تجعلان من الكتاب حالة فريدة تحمل أهمية عظيمة وشاملة؛ إذ كان هو المصدر والمرجع، وهو الإلهام بأن يبدأ اللغويون بوضع علمهم مرتباً في داخل كتاب يحمل نضجاً فكرياً وعلمياً مهماً.

ثانيا: معاني القرآن للفراء

ألف الفراء كثيراً من الكتب والمصنفات في اللغة وفي النوادر وتخصص في كثير منها في لغة القرآن الكريم، وهي كلها كتب لها قيمتها، ككتاب اللغات، وكتاب المصادر في القرآن، وكتاب النوادر، وكتاب يافع ويافعة وغيرها كثير[14]، إلا أنّ لمعاني القرآن قيمة مخصوصة بالنسبة إلينا فيما عملت على تأسيسه وتأصيله في اللغة، فقد اعتنى به علماء اللغة عناية كبيرة، وخصوه بالاهتمام، وذلك لأسباب ترتبط باللغة وبالدين؛ فهو الكتاب الوحيد الذي خلفه الكوفيون شاهداً على ما بذلوه في ميدان النحو من جهود علمية جبارة، على حدّ زعم من بحث في المدارس النحوية المختلفة، كما أنّ يحمل مجموعة كبيرة من المصطلحات النحوية كما وظفها الكوفيون وتعاملوا معها، مما يجعله مصدراً يستخدمه الدارسون للموازنة في المصطلحات النحوية بين المدارس النحوية المختلفة.

ومن ناحية أخرى، صار هذا الكتاب وسيلة المنحازين إلى المدرسة الكوفية لمواجهة البصريين والرد عليهم، وفيه الدليل والحجة لمواجهتهم في مسائل نحوية كثيرة، وقد اكتسبت هذه الحجج والأدلة قوتها وقيمتها من قيمة الفراء العلمية في زمنه وميدانه، وهو صاحب الأقدام الراسخة والنظرة القوية الثاقبة في ميدان النحو، وعند النظر في تفصيلاته يجد الباحث نفسه ينفتح على آفاق متشابكة في علم النحو، تؤسس لما هو مختلف عن مذهب سيبويه والبصريين.

ولا تقف أهمية هذا الكتاب إلى هذا الحد؛ فإنّ له دوراً مهماً في حل المشكلات النحوية في إعراب بعض آيات القرآن الكريم، مما يسهم في حل إشكاليتها في التفسير كذلك، فقد تناول هذه الآيات بوجوه قراءاتها المتعددة، وربط بينها التغيرات الدلالية فيها، وكيف يتحرك الموقع الإعرابي ويتعدد باختلاف هذه الحالة.

ثالثا: الخصائص لابن جني

[13] ناصف، علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، القاهرة، 1979، 191

[14] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق عبد الفتاح شلبي وآخرون، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1972

حين يؤلف رجل شموليّ يأخذ العلم عن الجميع كتاباً مثل كتاب "الخصائص" فلا بد له من أن يكون محط اهتمام المستشرقين والعلماء والباحثين؛ فهذا الباحث هنري فليش يتوصل في نهاية تحليله عن ابن جني إلى أنه بصري المذهب[15]، ويوافقه الرأي في ذلك محقق كتاب الخصائص، الأستاذ محمد علي النجار في مقدمة الخصائص[16]. وقد بحث في هذا الدكتور محمود أبو كتة فوجد أنّ ابن جني قد أخذ العلم من الجميع، ولا يقيده في الأخذ عن غيره نزعة مذهبية، ولا يحجم عن الأخذ بآراء غيره لنوازع عصبية، فعن أعلام البصر أخذ، وبآرائهم احتج واعتدّ، وعن ثعلب والكُسائي كان قد أخذ، وكلاهما ينسب إلى الكوفة[17].

ويؤكد هذا الطرح – رغم حكمه المناقض – محقق الكتاب الأستاذ محمد النجار حين يقول في المقدمة: "على أن الرجل كان منهوما بالعلم يأخذه عن أهله بصرياً كان أو غيره، فهو كثير النقل عن ثعلب والكسائي وأضرابهما، حسن الذكر لهذين الرجلين والثناء عليهما، فهو يقول عن الكسائي في الخصائص، باب في قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف لا بالإقدام والتعجرف: وكان هذا الرجل – أي الكسائي – كبيراً في السداد والثقة عند أصحابنا"[18].

إذن، القيمة الأولى التي يحققها كتاب الخصائص في تطور علم النحو، أنه جمع بين الأضداد والمختلفات، وتوجه نحو الموضوعية والحيادية في الطرح، محاولاً القيام بعملية موازنة حتى يخرج بالاستنتاج الأخير، أما القيمة الثانية فإنها تتجلى في أن الباحث في كتاب الخصائص يجد ابن جني قد دعا صراحة إلى مخالفة الإجماع في التحليل النحوي للقواعد والمسائل النحوية، فالنحو علم نستنتجه من تحليل اللغة واستقرائها، وليس كالفقه، وفي ذلك نجده يقول صراحة: "اعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على النصوص، فأما إن لم يعطِ يده بذلك، فلا يكون إجماعهم حجة عليه، وذلك أنه لم يرد ممن يطاع أمره في قرآنٍ ولا سنةٍ أنهم لا يجتمعون على الخطأ، كما جاء النص عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- من قوله: (أمتي لا تجتمع على ضلالة)، وإنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة، فكل من فرق له عن علة صحيحة، وطريق نهجة كان خليل نفسه، وأبا عمرو فكره"[19].

وإن هذا المذهب الذي يشير إليه ابن جني يؤكد أن المؤلف قد فتح الباب أمام التأويل والتحليل، وانفتاح المجال أمام الجميع ليدلو بدلوه في علم اللغة، لا أن يكون تابعاً لمذهب دون آخر، وإن صح التعبير، يكون ابن جني قد احترم عقل المتلقي، فأكثر له من النظائر والأمثال ليحمله على الاقتناع بما يقدم له من التحليل والتصورات النحوية، وإن دل هذا على شيء؛ فهو دليل على سعة مخزون الكاتب وعقله، ما ينعكس

[15] هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية، عدد 23، 1968، 49

[16] ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الحديث، القاهرة، 2008، 45/1

[17] أبو كتة، محمود، دراسات في النحو العربي – نحاة ومؤلفات، 71

[18] ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، 46/1

[19] ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، 190-189/1

بالثقافة والعلم على القارئ ليتمكن من إنتاج الدرس النحوي بالشكل الملائم.

ومن المظاهر المهمة التي تؤكد دور ابن جني وكتابه الخصائص في تطور الدرس النحوي العربي، ما أشار إليه على أساس الريادة والسبق، في حديثه عن العامل النحوي، فرأيه بأن العامل الحقيقي الذي يرفع وينصب ويجر ويجزم إنما هو المتكلم نفسه، لا الألفاظ، رأي جديد نسبياً على ما ذهب إليه النحويون قبله، ونجد ذلك في قوله: "فأما في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعمل منا لرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره...، وإنما قالوا لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ"[20].

وقد أثر ابن جني بهذا الرأي فيمن جاؤوا بعده، فمن القدماء ابن مضاء القرطبي حين يؤكد بأن الألفاظ لا يحدثُ بعضها بعضاً، وقد عدّ رأيهم بتأكيد أثر الألفاظ في بعضها رأياً لا يصدر عن العقلاء، ويخيل إليّ بأنّ هذا الرأي قريب جداً مما وصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة، من كونها تحلل الكلام على أنه سلوك وممارسة إنسانية يقوم بها المتكلم، يشمل اللفظ والحركة والإشارة، وهو انفتاح مهم في حد ذاته[21].

رابعا: المفصل للزمخشري

حين ينظر القارئ المتفحص في كتاب في النحو، يؤلفه صاحبه حرصاً على المسلمين وخوفاً عليهم، لأنّه رأى فيهم رغبةً إلى تعلم العربية وأسرارها، فعلينا أن نكون متأكدين من أن هذا الكتاب ناتج عن جهد مغلف بالميل إلى الإصلاح، والحسّ العالي بالمسؤولية اتجاه الدين واللغة، وهو ما يكفل للعمل بأن يكون على قدر متميز من الإتقان والإبداع، ويؤكد ذلك ما ورد في مقدمة الكتاب: "ولقد ندبني ما بالمسلمين من الأرب إلى معرفة كلام العرب، وما بي من الشفقة والحدث على أشياعي من حفدة الأدب لإنشاء كتاب في الإعراب محيط بكافة الأبواب..."[22].

ولقد نال الكتاب شهرة واسعة وتقديراً كبيراً من المؤلفين والمصنفين، معترفين بقدره العظيم، فقد درّسوه وشرحوه، ونجد حاجي خليفة يصفه بالكتاب "عظيم القدر"[23]، وكيف لا يكون عظيم القدر وقد شرحه نخبة من اللغويين القدماء والمحدثين، منهم ابن الحاجب، والعكبري، والخوارزمي، والسخاوي، والأندلسي، وابن يعيش، وابن المستوفي، والصغاني، والجندي، وغيرهم ممن وصل تعدادهم إلى ما يقرب الأربعين شرحاً.

ويؤكد ما يذهب الباحث إليه الدكتور محمود أبو كتة، من أن كتاب "الكافية في النحو" لابن الحاجب، ما هو إلا ملخص عن كتاب المفصل، وقد سار فيه ابن الحاجب على

[20] المرجع نفسه، 109/1
[21] ابن مضاء، أبو العباس أحمد القرطبي، الرد على النحاة، تحقيق محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، القاهرة، 1979، 70
[22] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر، تحقيق بدر الدين النعساني، دار الجيل، بيروت، د.ت، 5
[23] خليفة، حاجي، كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، دون ناشر، طهران، 1378ه، 1776/2

التقسيم نفسه للزمخشري، وعلى المنهج نفسه، وفي دراسة للدكتور عبد الباقي الخزرجي (1982) يشير إلى أنّ هناك أكثر من مائة مصنف وضعت حول كتاب المفصل، كما ذكر الدكتور محمود أبو كتة نفسه[24].

وبذلك يكون هذا المصنف قد أفاد في تأسيس لدرس بلغوي بسيط، يقسم اللغة إلى أسماء وأفعال وحروف وما يكون مشتركاً بينها كما نرى في فهرسه، ولا يخفى علينا أنه قد أفاد ممن سبقوه في التقسيم، لكنه أفاد من جاءوا بعده في طريقة العرض، وأسلوب الطرح، من أجل تسهيل النحو على العامة، وهو ما لم يكن شائعاً في ذلك الوقت، وقد أسهم كذلك في إنشاء الكثير من الشروح المبسطة للغة العربية قواعدها وأصولها، ويدل على ذلك ما نتج عن هذا الكتاب من جهود وصلت إلى أكثر من مائة وخمسين جهداً شارحاً أو ناقلاً أو مقلداً.

خامسا: الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي

بينما كان علماء اللغة في المشرق يركزون دراستهم حول العامل النحوي، ويسيرون في حلقات مستمرة من الاحتدام والخلاف والاتفاق على تفاصيل هذا العالم، كان هنالك لغوي يسير بمذهب مختلف، يرى في اللغة ما هو مخالف لما يراه الآخرون، فرأى أنه لا بد له من الرد عليهم؛ لينتقد أساليبهم، ومغالاتهم، وتوسعهم الزائد عن الحد، وخروجهم عن المقصد المطلوب من كتب اللغة، فينتج للعربية كتاب "الرد على النحاة"، وبذلك تتجلى أمام الباحثين دعوة جديدة في مجال النحو العربي، مصدرها الأندلس، من عند ابن مضاء، يدعو فيه إلى ثورة على القواعد الكلية، والأصول النحوية التي وضع قواعدها وأسس تفاصيلها وأعمدتها علماء النحو في المشرق، إذ وصفهم بأنهم قد أصلوا قواعد تتصف بالتعسف والتحكم، تسببت في ظهور أبواب وآراء لا داعيَ لها، إنما نحن في غنى عنها[25].

وبما أن العامل النحوي قاسم مشترك بين علماء النحو في المشرق، وانتقل إلى الأندلس بطبيعة الحال عند تأسيس الحياة فيها، فإن الدعوة إلى إلغائه من قبل ابن مضاء أمر يغير اتجاه الدراسة النحوية عما كان في الشرق، ويضرب المذاهب النحوية على اختلافها (بصرية أم كوفية أم شامية) في مقتل، ولو عدنا إلى بعض كتب الخلاف النحوي، ككتاب الإنصاف في مسائل الخلاف[26]، سنجد أن الخلاف بين المدارس النحوية خلاف في فروع اللغة لا في أصولها، وقد توحدت جهودهم على القول بالعامل، واتفقوا في القواعد النحوية، فجاءت فكرة نشأة المذاهب لتعكر الدرس اللغوي على حسب ما يرى ابن مضاء.

وقبل أن يؤكد الباحث بالدليل القاطع أثر هذا الكتاب في تطور النحو العربي، لا بد من الإشارة إلى المعالم الأساسية في المذهب النحوي عند ابن مضاء، والتي تمثلت في إلغاء ثلاثة أمور أساسية، هي: أولا: إلغاء العامل النحوي، منتقداً مذاهب النحويين في تعاملهم مع الظواهر النحوية كالحذف والتقدير، أما ثانيا، فهي الدعوة إلى إلغاء العلل

[24] أبو كتة، محمود، دراسات في النحو العربي – نحاة ومؤلفات، 100
[25] ابن مضاء، أبو العباس أحمد القرطبي، الرد على النحاة، 13
[26] ابن الأنباري، كمال الدين، الإنصاف في مسائل الخلاف، تقديم وشرح حسن حمد، بإشراف إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998

الثواني والثوالث، ويقصد بذلك أن العلل النحوية منقسمة إلى علة مقطوع بها، وعلة فيها اقتناع، وعلة مقطوع بفسادها، وعلينا أن نتعلم النوع الأول المقطوع به، لأنه معرفته تسهم في اكتساب المعرفة المطلوبة للتحدث بكلام العرب.

أما المعلم الثالث لمذهب ابن مضاء النحوي؛ فهو الدعوة إلى إلغاء التمارين الصرفية، ويقصد بذلك الأوزان الصرفية، وقياس الأوزان على بنية الكلام، وظواهر الإبدال والإعلال وغيرها في الدروس الصرفية المتعلقة ببنية الكلام؛ فيقول في كتابه: "ومما ينبغي أن يسقط من النحو: ابن من كذا، مثال كذا، كقولهم: ابن من البيع مثال فعل فيقول القائل: بَوَعَ أصله بيع، فيبدل من الياء واو لانضمام ما قبلها لأن النطق بها ثقيل"[27].

وقد يكون كتاب ابن مضاء أكثر الكتب وضوحا – بعد سيبويه – في التأثير على تطور علم النحو، ويتجلى ذلك في أن تبنى دعوته في إلغاء العامل الكثير من النحويين، واستعملوا العلل نفسها لتثبيت دعواهم، ويمكن للباحث أن يرى أن ابن مضاء قد وضع أمامنا بابين من أكثر أبواب النحو حاجة للاعتراض، وهما من النظريات التي لا بد من التخلص منها من أجل تحسين وصول الدرس النحوي إلى دارسي اللغة العربية والمهتمين والمتخصصين، وإن أراد الدارسون الاطلاع على بعض الأمثلة على أثر ابن مضاء في ذلك، لا بد من التوجه إلى كتاب "في النحو العربي نقد وتوجيه" لمهدي المخزومي، الذي يذهب فيه إلى أن قصر النحاة اهتمامهم على الكلمات كونها معمولات، وعلى آثار العوامل فيها، ما هو إلا تخبط من علماء النحو في تناول الدراسة اللغوية وبحثها، حيث شتّ العلماء عن موضوع دراستهم مما دفعهم إلى توسيع دائرة البحث بشكل غير صحيح، ويقول في موضع آخر من كتابه: "في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث ...، هذا كتاب أقدمي بين أيدي الدارسين مُبرأ مما علق بالنحو طوال عشرة قرون من شوائب ليست من طبيعته، ولا من منهجه، فقد ألغيت فيه فكرة العامل إلغاء تاماً، وألغي معها ما استتبعت من اعتبارات عقلية لا صلة لها بالدرس النحوي، وأبطلتُ فيه جميع التعليلات التي لا تستند إلى استعمال، وحذفت من فصوله فصولاً لم تكن لتكون لولا شغف النحاة بالجدل العقلي، وتمسكهم بفكرة العمل، كالفصل الخاص بما سمي التنازع، والفصل الخاص بما سموه الاشتغال، والفصل الخاص بما يسمونه بالناسخ (كان وأخواتها وإن وأخواتها...)"[28].

ومن البارزين في علوم اللغة الحديثة، الباحث والكاتب أنيس إبراهيم، لم يسلم من التأثر بمثل نظرية ابن مضاء في إلغاء العامل، بل توسع وذهب أكثر من هذا؛ فمن خلال مراجعتي لكتابه "أسرار اللغة"، يمكن العثور على ما يؤكد سعيه إلى التحرر من كثير من الجوانب التي تمسك بها علماء اللغة القدماء، من بينها مثلاً قضية الحركات، التي لا يرى فيها أنيس أي دليل على الإعراب، أو على المعاني كما يقول النحاة، إنما هي وصلات للكلام على اعتبار أن اللغة العربية عبارة عن مجموعة من المقاطع الصوتية القصيرة والطويلة، ويذهب أنيس في كتابه كذلك إلى أن الظواهر

[27] ابن مضاء، أبو العباس أحمد القرطبي، الرد على النحاة، 135/1

[28] المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، بيروت، 1964، 15

النحوية والصرفية هي بظواهر ندرسها من منطلقات علم الأصوات، وفي ذلك يقول مثلا: "لم تكن الحركات الإعرابية تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة، بل لا تعدو أن تكون حركات يُحتاج إليها في كثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض"[29].

ولم تقف حدود أنيس إلى هنا، بل تعداها إلى اعتبار أن الحركات لا دلالة لها أبداً، وهي قصة حبكها علماء النحو، ويزعم كذلك – وربما يغالي في هذا- أن أواخر الكلمات سواكن دائماً، ولا تتحرك إلا إذا وصلناها بما يأتي بعدها، ويقول أنيس في هذا: "إن شيوع الوقف بما يسمى السكون، أو بعبارة أدق سقوط الحركات من أواخر الكلمات في حالة الوقف لأكبر دليل على أن الأصل في الكلمات ألا تكون حُركت الآخر وأن ما حرك منها في وصل الكلام كان لأسباب صوتية دعا إليها الوصل"[30].

وبهذين المثالين السابقين يمكن أن ندرك ذلك المستوى الكبير من الأثر الذي أتى به تحقيق كتاب ابن مضاء "الرد على النحاة"، وكيف يمكن لمثل هذه القضايا أن تثار، ولمثل هذه الاتجاهات من أن تتشكل، إن لم يكن بين يدينا من المخطوطات المحققة ما يحرك هذه الطاقات العلمية؟

سادساً: مغني اللبيب لابن هشام:

لقد سلك ابن هشام في هذا الكتاب مسلكاً مختلفاً عن الكتب التي ألفها قبل ذلك، ويلحظ هذا من يقرأ هذه الكتب أو يطلع عليها، فهنالك فرق شاسع ما بين "قطر الندى وبل الصدى" مثلا وكتاب "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، من حيث المنهج والأسلوب والطرح النحوي الذي يقدمه في الكتاب.

من البداية حين يقرأ المتعلم المقدمة يلحظ أن صاحب المغني يعرف ما يفعل، نضج بشخصيته التأليفية بشكل لافت، وقد اكتمل علمه ونضج في علوم اللغة، كما نلحظ ميزة أخرى في هذا الكتاب، وهي الاختصار في التعبير والصياغة، والبعد عن الكلام الكثير الذي لا يغني ولا يفيد، فاللغة مكثفة تحمل المعاني العميقة الكبيرة قدر الإمكان.

تميز كتاب ابن هشام هذا بكونه يحمل استقلالية في الاستقصاء وبناء وجهات النظر في المسائل النحوية، فلم يكن يأخذ بمسائل فريق على حساب آخر إلا بعد أن يضع لمسته الخاصة، وبعد أن يقتنع بالدليل الذي يبحث فيه، فاتحاً الباب أمام معاصريه ومن جاءوا بعدهم نحو الاعتماد على النفس في دراسة اللغة ونقد المذاهب الفكرية واللغوية الجامدة.

ومن ناحية أخرى، فتح الباب ابن هشام أمام التغيير في التقليد المتبع في بناء مفاصل الكتب اللغوية وعناوينها؛ فابتكر العناوين والموضوعات، ومن بينها نظرية النحو التحويلي التوليدي التي نادى بها بعد قرون منه تشومسكي وولهلم فون هومبولت، وهي النظرية التي ترى أن اللغة تقوم على نظام من القواعد المحدودة التي تفرز عددا لا يحصى من العبارات، ويؤكد ذلك نهاد الموسى حين يقول: "وقد وجدت أن ابن هشام نفذ إلى مضمون هذه الملاحظة في تقرير غير ملتبس، منذ ستة قرون ونيف في كتابه مغني اللبيب وذلك في سياق تبصره في تركيب العربية، وسعيه إلى وضع أصول

[29] أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1978، 237

[30] المرجع نفسه، 247

لإعراب القرآن، فإنه أقام الباب الثامن من كتابه المغني على ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية، واستوت الأمور الكلية عنده في الباب المذكور إحدى عشرة قاعدة متعيّنة أثبتها ابن هشام عقب ذلك، وأردف ببعض أمثلتها، وليس تقريرُ الشبه بين ابن هشام وهومبولت ثم تشومسكي من هذه الجهة محتاجاً إلى أن يتكلف له التأويل، ولهذا وغيره لا يستقيمُ لبيرفتش أن يقرر أن أول من ألمح إلى طبيعة القدرة اللغوية الخلاقة كان وِلهن فون هومبولت"[31].

ولم يقف أثر تحقيق كتاب مغني اللبيب عند هذا الحد، بل إنه قد أسهم كذلك في نضج الدراسات اللغوية المتعلقة بشواهد القرآن الكريم، حيث لم يترك المغني القراءات المتواترة منها والشاذة إلا وتطرق إليها، واستشهد بها جميعاً، كما لم يجز الاستشهاد بالقرآن وحمله على اللغة الضعيفة، كما أنه فتح الباب على مصراعيه للاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، خصوصاً وأنها أكثر الشواهد عنده في كتابه بعد آيات القرآن الكريم، وقد قدّم الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف على الشعر والنثر.

الخاتمة– استنتاجات

بعد هذه الجولة في عينة من أمّات الكتب التي تناولت اللغة العربية بعلومها وقواعدها، وركزت على النحو تركيزاً كبيراً، يمكن للباحث أن يخرج بمجموعة من الاستنتاجات المهمة حول أثر تحقيق المخطوطات اللغوية على تطور علوم اللغة عموماً والنحو خصوصاً، ونشير هنا إلى ما ذهب إليه الباحثون قبل هذا البحث، بأنّ توفير النصوص المحققة في مختلف ميادين المعرفة يتيح للباحثين في مجال اللّغة العربيّة قدراً كبيراً من المصطلحات العلميّة التي يمكن الاستفادة منها في التأليف والتعريب، ويسد الطريق على من يصرّون على استخدام لغات أجنبية في التدريس الجامعي تحت ذريعة عدم توافر المصطلحات العلمية باللّغة العربيّة. ومن ينظر في هذه النصوص يجدها زاخرة بالمصطلحات في علوم الطبّ والهندسة والفلك والرياضيات والفلاحة والكيمياء والفيزياء وغيرها، كما يفتح مجالات واسعة للبحث والدراسات، وذلك للغنى الواسع لهذه النصوص بالقضايا الفكرية والتاريخية والأدبية والنقدية والفلسفية والعلمية، ولأهمية كثير من مضامينها التي تشكل معيناً لا ينضب من المسائل التي تحرّك الباحثين وتسترعي اهتمامهم.

كما يكشف التحقيق عن النصوص اللغوية عن الطاقة الهائلة التي تختزنها اللّغة من حيث قدرتها على استيعاب كلّ العلوم والمعارف والتعبير عنها، ويوكّد أهمّ عنصر من عناصر هويّة الأمّة، فهذه النصوص المحقّقة هي المستودع الذي يحتوي على كلّ مفردات اللّغة وأساليبها واستخداماتها وتطوّر دلالاتها ومآلات كلّ مفردة من مفرداتها منذ نشأتها إلى اليوم، وبذلك تكون هذه النصوص المحقّقة هي المصدر الأساسي لمشروع المعجم التاريخي لهذه اللّغة.

ونتوصل كذلك إلى أن تحقيق المخطوطات اللغوية أسهم في تطور علوم اللغة بشكل عام، وعلم النحو بشكل

[31] الموسى، نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية، عمان، 1980، 55

خاص، من خلال مجموعة من الاعتبارات والاتجاهات التي تتمثل في:-

أولاً: وضعت هذه الكتب الطريقة والمنهج في بناء الدرس النحوي وتقديمه إلى المتخصصين في اللغة والمهتمين بها، فشكلت للمؤلفين مرشداً يسيرون على هديه، وبخاصة الكتاب لسيبويه والمفصل للزمخشري.

ثانيا: تحدثت هذه الكتب عن تفاصيل لغوية لم يتطرق إليها كثيرون قبلهم كما جاء في كتاب الخصائص لابن جني أو في كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي، مما أسهم في تشكيل مجموعة من الدراسات والنظريات اللغوية فيها بعد.

ثالثا: أسهمت هذه المخطوطات في تأكيد التفوق العربي في دراسة اللغة والاهتمام بها والتنبّه إلى نظريات لغوية كثيرة يراها كثيرون أنها حديثة في اللسانيات الجديدة، كما هو الأمر مع ابن هشام في مغني اللبيب.

رابعاً: ساعدت المخطوطات اللغوية المحققة في توجه علماء اللغة إلى ضرورة تسهيل الدرس النحوي بما يناسب المسلمين الراغبين في تعلم أسس اللغة العربية، من أولئك الذين لم يقطعوا شوطاً كبيراً فيها؛ فجاءت تلك المؤلفات ثم بنت عليها المؤلفات الأكثر حداثة فيما بعد دروسها المختصرة لتراعي مستويات الناس والفروق بينهم.

وبناء على ذلك لا بد للباحث من أن يوصي بضرورة العمل على تحقيق المخطوطات اللغوية التي لم يتم تحقيقها بعد، وتحسين مستويات تحقيق الكثير من المخطوطات التي لم يكن تحقيقها مناسباً لما فيها من طرح لغوي، كوننا بحاجة إلى الكثير من الجهود من أجل الحفاظ على هذه اللغة وتأكيد الجذور العميقة لحضارة أمتنا العربية في مختلف مجالات العلوم.

*** المراجع**

ابن الأنباري، كمال الدين، الإنصاف في مسائل الخلاف، تقديم وشرح حسن حمد، بإشراف إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998

أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1978

باشا، أحمد، أهمية التراث العلمي العربي، محاضرات دورة المخطوطات، دون تاريخ

البغدادي، إسماعيل بن باشا، هدية العارفين في أسماء الكتب والمؤلفين، وكالة المعارف الجليلة، إسطنبول، 1955

التونجي، محمد، المخطوطات العربية بين يدي التحقيق، مجلة التراث العربي، عدد أكتوبر، 1982، ص 197- 208

جدعان، فهمي، المخطوطات العربية في العالم العربي، الكتاب السنوي السادس، مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، السعودية، 1987

الجراخ، عباس هاني، ما ألف في مناهج التحقيق قائمة وراقية تحليلية: توثيق ودراسة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 82، الجزء 2، 2008، ص 277 – 300

ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، 2008

خليفة، حاجي، كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، دون ناشر، طهران، 1378ه

الزبيدي، محمد بن الحسن الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر، تحقيق بدر الدين النعساني، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ

الضامن، حاتم، إسهام العراقيين المعاصرين في تحقيق التراث، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد ديسمبر، 1989، ص 272 – 322

عبد الهادي، محمد، التراث المخطوط – دليل ببليوجرافي بالإنتاج الفكري العربي، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2009

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق عبد الفتاح شلبي وآخرون، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1972

أبو كتة، محمود، دراسات في النحو العربي – نحاة ومؤلفات، الطبعة الثانية، عمّان، 1995

الماضي، شكري، تحقيق التراث الرؤى والآفاق، القاهرة، دار المعرفة، 2006

المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، بيروت، 1964

ابن مضاء، أبو العباس أحمد القرطبي، الرد على النحاة، تحقيق محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، القاهرة، 1979

الموسى، نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية، عمان، 1980

ناصف، علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، القاهرة، 1979

هارون، عبد السلام، إحياء التراث وما تم فيه، مجلة المجلة، العدد 114، 1 يونيو، 1966، ص 17-30

ابن هشام، أبو محمد الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، دون تاريخ

هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية، عدد 23، 1968.